

DOI: 10.54240/2318-013-001-004

مصلحة المعالم التاريخية بالجزائر:

مسيرتها وإنجازاتها: قراءة تقييمية.

Service of Historical Monuments in Algeria:

its evolution and achievements: assessment reading

اسم ولقب المؤلف المرسل: سهام هامل- sihem hamel صص 74-86
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه ل م د جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.
البريد الإلكتروني: hamelsihem32@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2022/12/24.. تاريخ المراجعة: 2023/01/05.. تاريخ القبول: 2023/04/27

الملخص: يتناول موضوع المقال التعريف بمصلحة تقنية استحدثها الفرنسيون عام 1880م للإعتناء بشؤون المعالم التاريخية الجزائرية، وما تحتاج إليه من إجراءات الجرد والتصنيف في قائمة المعالم التاريخية آنذاك، وأشغال الصيانة والترميم، إضافة إلى إسناد إليها مهمة إدارة الحفريات الأثرية ورقابتها عبر كامل التراب الجزائري، واستحداث متاحف المحلية عبر عمالات الجزائر الثلاث. إنها مصلحة المعالم التاريخية الملحقة بنظيرتها في باريس إلى ما بعد سنة 1925م تاريخ صدور النص التشريعي المتعلق بتطبيق أحكام قانون 1913م المعدل والمتّم لأول نص تشريعي فرنسي يخص إدارة التراث الأثري والمعماري وتثمينه، ألا وهو قانون 1887م، الذي اعتبر الجزائر في مادته السادسة عشرة (16) كجزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، وتطبيق أحكامه على معالمها كأية مقاطعة إدارية فرنسية أخرى بالصفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، إذ سيكتشف القارئ كما هو موضّح في صياغة عنوان المقال ظروف نشأتها ومراحل تطورها، وإبراز المهام المُسندة إليها، وأهم إنجازاتها وخلفيات توتر العلاقة بينها وبين كبار الأثريين اللذين استحدثوا مصلحة الآثار القديمة عام 1923م، واستمرار هذه الأخيرة إلى غاية مُستهل عقد ثمانينات القرن العشرين المنصرم، تاريخ قيام الحكومة الجزائرية بإعادة هيكلة جديدة لمصالح التراث في إطار ما عُرف آنذاك باسم "التسيير الدّاتي" وحلول في محلّها

"الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم التاريخية والنصب التذكارية والمواقع الطبيعية" سنة 1987م.

الكلمات المفتاحية: مصلحة المعالم التاريخية- إدارة التراث الثقافي- التراث المعماري والأثري- حماية التراث- آثار الجزائر- المهندس المعماري- الاستغلال- التسيير- التثمين- الحفظ.

ABSTRACT : The object of the article deals with the definition of a technical interest developed by the French in 1880 to deal with Algerian historical monuments, the inventory and classification procedures required in the list of historical monuments of the time and the maintenance and restoration work, as well as the management and control of archaeological excavations throughout the Algerian territory, the creation of archaeological collections and the development of local museums in the three Algerian currencies, This is the service of historical monuments attached to its name in Paris until one year later. (1925) date of the legislative text relating to the application of the provision of the act (1913) amending and supplementing the first french legislative text relating to the management and development of the archaeological and architectural heritage, namely the act (1887). Algerian in its article XVI, was considered to be an integral part of the French territory, and its provisions applied to its characteristics like any other French administrative province located on the northern shore of the Mediterranean basin. As explained in the title of the article, the reader will discover the circumstances of its origin, the stage of its development and highlight the tasks assigned to it, its main achievements and the context of the tense relationship between it and the university of Algiers, which ended with the creation of a parallel interest in antiquities (1923) and the continuation of the latter until the beginning of the 1980, when the Algerian government undertook a new restructuring of economic interests in the framework of what was then called "self-exploitation" and replaced it with the "Agency national of archaeology and protection of historical monuments and natural sites" (1987).

Keywords: Service of Historical Monuments- Cultural Resources Management- Architectural and Archaeological Heritage- Heritage Conservation- Algerian Archaeology- Architect- abusing- management- valuation- preservation.

المقدمة: تعاقب على إدارة واستغلال المعالم التاريخية والمواقع الأثرية الجزائرية في ظل الاحتلال الفرنسي (1830-1962م) مصطلحتان تقنيتان أساسيتان، أقدمهما "مصلحة المباني المدنيّة" سليله الهندسة العسكرية الفرنسية في الفترة الممتدة ما بين 1843-1872م¹؛

¹ - أكثر تفاصيل حول هذه المصلحة التي خلفت بدورها مصلحة "الجسور والطرق"، ينظر على سبيل المثال:

"ومصلحة المعالم التاريخية"، موضوع هذه الدراسة، حيث واصلت مهامها المتعددة في ميادين التراث المعماري والأثري والمتحفي طيلة الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي 1880-1962م.

فما هي دوافع إنشاء هذه المصلحة التقنية؟ وكيف كان تنظيمها؟ وماهي المهام الميدانية المسندة إليها من قبل إدارة الاحتلال؟ وأثرها على مصير التراث المعماري والأثري وتثمينه بالجزائر آنذاك؟

1- دوافع استحداث مصلحة المعالم التاريخية في الجزائر: يمكن حصر الدوافع الرئيسية لنشأة هذه المصلحة بالجزائر في النقاط الآتية:

- تصاعد حدة احتجاج الأهالي على التشويه والإتلاف العمدي للذات طالاً تراثهم المعماري والأثري بدعوى التحديث، وإعادة تهيئة النسيج العمرانية العريقة في أبرز المدن التاريخية، كمدينة الجزائر العاصمة بوسط البلاد، ومدينة تلمسان في غربها، ومدينة قسنطينة بشرقها على سبيل الذكر لا التخصيص والحصر¹.

- تأييد النخبة الغربية لمطالب الأهالي المشروعة بخصوص ضرورة الوقف الفوري لمختلف الاعتداءات السافرة التي مسّت تراثهم الأثري من نهب وسرقة، وإتلاف، وتحويل إلى الخارج، وإعادة استغلال في مباني استعمارية جديدة².

- النتائج العلمية الواعدة التي أظهرتها بواكير البحث والتنقيب الأثري في الجزائر، كعمل المهندس المعماري "أمايل رافوازي" (AMABLE RAVOISIE) في حملة الاستكشاف العلمي للجزائر بين سنتي (1840-1842)م³؛ والمبادرة الفردية التي قام بها النقيب "أزيما دو

BURTH- LEVETTO (S, «Le service des bâtiments civils en Algérie (1843-1872 entre discours et réalité», In: Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N° 73-74, 1994, pp 137-152.

1 التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 – 1871، تقديم روبرت مونتران، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1972، ص 146 – 166؛ OULEBSIR (N, Les usages du patrimoine, monuments, musées et politique coloniale en Algérie (1830- 1930, Editions de la maison des sciences de l'homme, Paris, 2004, pp 79 – 94.

2 FRANQUE (A, Lois de l'Algérie année 1844, Editeurs DUBOS frères et MAREST, Paris / Alger, pp p 8 colonnes 1 – 2; ROBERT (Ch, «L'état fâcheux de divers monuments antiques de l'Algérie», In: Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, Année 29, N° 01, 1885, pp 23 – 24.

3 RAVOISIE (A, Architecture, sculpture, inscriptions et vues, Série beaux-arts, Exploration scientifique de l'Algérie; pendant les années 1840, 1841, 1842, Librairies de Firmin DIDOT frères, Paris, 1846, 03 tomes.

مونغرافيه" (AZIMA DE MONTGRAVIER)¹: إضافة إلى الرفع المعماري والتفريغ الزخرفي للذان خصّ بهما المهندس المعماري "إيدموند ديتوان" (EDMOND DUTHOIT) المعالم الإسلامية بكلّ من مدينة الجزائر، ووهران، وبصفة خاصة معالم تلمسان في سنة (1872)م².

- تفتن إدارة الاحتلال الفرنسي إلى فكرة توظيف التراث الثقافي المحلي في خدمة حركة توطيّن العنصر الغربي في الجزائر، وذلك بمحاولة تقييد الذاكرة العامة للشعب الجزائري، وواد في ذاته روح المقاومة، وتحمله على التسليم بمبدأ الأمر الواقع³، كما يمكن أن يُستشفّ بوضوح من استحداث "المفتشية العامة للمعالم التاريخية والمتاحف الأثرية" عام (1853)م بموجب منشور صادر عن السيد "رندون" (RONDON) الحاكم العام بالجزائر؛ أعقبه منشوره الثاني المؤرخ في 15 نوفمبر (1854)، حيث حثّ فيه الضباط السّامين وولاة العمالات بضرورة المحافظة على كلّ المعالم التاريخية دون استثناء، أي بما فيها المعالم الإسلامية، وأثار فترة ما قبل التاريخ⁴.

أدت في نهاية المطاف إلى استحداث جمعيات محلية وأكاديميات إقليمية بقيادة وإشراف عسكريين للقيام بهذه المهام على نسق ما كان يعمل به في فرنسا بداية من عقد ثلاثينيات القرن التاسع عشر (19)⁵، مثل "الجمعية التاريخية الجزائرية" برئاسة "أديان باربروغر" (ADRIENNE BERBRUGGER)، حيث عمدت إلى تأسيس "المجلة الإفريقية"، واستحدثت "المكتبة- المتحف" إضافة إلى تصنيف "قصر مصطفى باشا"، مقرّ المتحف الوطني للمنمنمات والزخرفة والخط اليوم، (الصورة: 01) كأول معلم تاريخي بالجزائر عام

1 DE MONTGRAVIER (A), «Excursion archéologique d'Oran à Tlemcen», In: Mémoires de la société archéologique du Midi de la France, tome 05, (1841 – 1847, pp 319 – 340.

2 DUTHOIT (E), «Rapport sur une mission scientifique en Algérie», In: Archives des missions scientifiques et littéraires, 3ème série, tome 01, 1873, pp 305 – 326.

3 DIAZ-ANDREU (M), A world history of Nineteen-Century archaeology, Oxford university press, first published, 2007, pp 245 – 277.

4 DONDIN-PAYRE (M), «Napoléon III et l'archéologie algérienne», In: Bulletin de la société historique de Compiègne, tome 37, 2001, pp 193 - 210.

5 Ministère d'Etat, Note, Circulaires et rapports sur le service de la conservation des monuments historiques, Imprimerie impériale, Paris, 1962, p 3.

(1863)م، وتحويل مقر "المكتبة- المتحف" إليه¹، بعدما عرف تنقلات عديدة بين معالم قصبة مدينة الجزائر السفلى في الفترة الممتدة ما بين 1838-1862م².

- قيام الإمبراطور الفرنسي "نابليون الثالث" (NAPOLEON III) في زياته الثانية للجزائر عام 1865م بمعاينة "قصر مصطفى باشا" في عقب عملية إعادة دمجهِ وظيفياً بتحويله إلى مقر متحف، وإعجابه بالآثار المعماري الجزائري المحلي، وبقيّة الفنون التطبيقية، حيث وجه تعليماته الصارمة لمراقبيه بضرورة الاعتناء بهذا التراث وتثمينه³.

- استحداث منصب "المهندس المعماري الرئيس للمعالم التاريخية" كأعلى منصب إداري في تسيير "مصلحة المعالم التاريخية" بالجزائر منذ عام 1872م، حيث تقلده لأول مرة المهندس المعماري "ديتوان" منذ ذلك التاريخ إلى غاية استدعائه للقيام بأعمال مماثلة في القطر التونسي الشقيق في إثر عملية الانتداب، وكان ذلك سنة 1889م على وجه الدقة والتحديد⁴.

2- مراحل تطور مصلحة المعالم التاريخية في الجزائر: مرّ تنظيم "مصلحة المعالم التاريخية" في الجزائر بمرحلتين أساسيتين، حيث اتسمت المرحلة الأولى منهما (1880-1900م) بتبعيةها المباشرة لسميتها (المصلحة الأم) بباريس، وفيما كان يُنتدب مهندسا معماريا رئيسا للمعالم التاريخية للقيام بزيارات تفقدية، وحملات تفتيشية لجملة المعالم التاريخية، والمواقع الأثرية المكتشفة طيلة سنة كاملة من نشاطات البحث عبر مختلف مناطق الجزائر. وقد كانت في العادة تستغرق بضعة أسابيع لمعاينة على وجه الخصوص مشاريع الترميم المُدخلة على المعالم التاريخية، وتفتيش مواقع الحفريات الأثرية، إضافة إلى معاينة مقتنيات المتاحف المحلية والمركزية؛ لينصرف بعدها هذا الموظف الكبير إلى إعداد تقرير مفصل، معدّ في ثلاث نسخ على الأقل منها نسخة موجهة لوزير التربية والفنون الجميلة

1 BERBRUGGER (A, «Un monument historique», In: Revue Africaine, N° 06, 1862, pp 398 – 400.

2 IDEM, Bibliothèque – Musée d'Alger; Livret explicatif, Imprimerie Bastide, Alger, 1861, pp 6 - 18.

3 KOUMAS (A & NAFA (Ch, L'Algérie et son patrimoine; dessins français du 19ème siècle, éditions du patrimoine, Paris, 2003, p 62.

4 OULEBSIR (N, « La découverte des monuments de l'Algérie; les missions d'Amble Ravoisié et Edmond Duthoit (1840 – 1880)», In: Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N° 73 – 74, 1994, pp 57 – 76.

بباريس، ونسخة للحاكم العام في الجزائر¹، فيما توجه النسخة الثالثة للنشر عبر إحدى الدوريات العلمية المتخصصة بفرنسا، شأن دورية "التقارير" الصادرة عن أكاديمية الكتابات والآداب الرفيعة، القائمة حتى الآن، أو المجلة الإفريقية بالجزائر الذائعة الصيت. أما المرحلة الثانية فكانت بواورها مع الإصلاح المالي والإداري القاضي بتحرير مستعمرة الجزائر من التبعية المباشرة للحكومة الفرنسية في باريس، وترقيتها إلى مصاف المستعمرات المتمتعة بالتسيير الذاتي في ظلّ السيادة الفرنسية عليها طبعاً، وذلك بموجب مرسوم 23 أوت 1898م المتعلق بتنظيم الإدارة العليا للجزائر، حيث أصبحت الجزائر تتمتع بالشخصية المدنية والميزانية المستقلة ابتداءً من 19 ديسمبر (1900)م².

ففي إطار هذا الإصلاح الإداري والمالي الشامل، تمت مراجعة وضعية "مصلحة المعالم التاريخية" بالجزائر، حيث نالت استقلالها التام عن المصلحة الأم بباريس لأول مرة، وتحويل اعتماداتها المالية بموجب القرار الوزاري الصادر عن وزير التربية والفنون الجميلة، المؤرخ في 30 يناير 1901م من ميزانية وزارة التربية والفنون الجميلة بالحكومة الفرنسية إلى فائدة ميزانية الحكومة العامة بالجزائر³.

3- تنظيم ومهام مصلحة المعالم التاريخية في الجزائر: كانت هذه المصلحة التقنية في مرحلة تبعية للمصلحة الأم بباريس، تتكوّن من مهندس رئيس للمعالم التاريخية مقيم هناك، ويُعينه في أداء مهامه بالجزائر مهندساً معمارياً مساعداً، وحُرّاساً للمعالم التاريخية والمواقع الأثرية⁴؛ ثمّ سرعان ما تطوّر ذلك الهرم الإداري البسيط إلى شكل أكثر تطوراً في المرحلة التالية، حيث تمّ نقل مقرّ الإقامة الدائمة للمهندس المعماري للمعالم التاريخية من

1 OULEBSIR (N, Op. cit, p 181.

2 ALMI (S, Urbanisme et colonisation, présence française en Algérie, Mardaga, Belgique, 2002, pp 63 - 77.

3 «L'Algérie, Transmission du service, 1901», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F80/1/119, «Application à L'Algérie de la loi du 31 Décembre 1913, (1901 à 1938, Transmission du service des monuments historiques au gouvernement général», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01.

4 «Arrêté du 12 Avril 1907 portant sur l'organisation du service des monuments historiques de l'Algérie», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01, Dossier: 2, (L'Algérie généralité (1912 – 1952, Département d'Alger.

باريس إلى مدينة الجزائر¹، وتحويل الهيئة الوصية عليه من وزير التربية والفنون الجميلة في طاقم الحكومة الفرنسية إلى الوصاية الأحادية والمباشرة للحاكم العام بالجزائر؛ تفعيل دوره بثلاث مهندسين مساعدين على مستوى عمّلات الجزائر الثلاث آنذاك، حيث يقيم الأول بمدينة الجزائر، والثاني في قسنطينة، والثالث بوهران، يُعينون جميعا بموجب مرسوم صادر عن الحاكم العام في الجزائر، وتُنهى مهامهم بذات الإجراء؛ فيما يمارسون نشاطاتهم المهنية طبقا لتعليمات "لجنة المعالم التاريخية والمواقع بالجزائر"².

وفيما خصّ المهام الوظيفية الموكلة لمصلحة المعالم التاريخية في الجزائر بموجب أحكام المرسوم المؤرخ في 12 أبريل 1907م، المتعلق بإعادة تنظيمها في ظلّ الحكومة العامة بالجزائر، فتتلخص في:

* صيانة المعالم التاريخية وبقايا المباني الأثرية المصنّفة بموجب أحكام قانون 30 مارس 1887م، القاضي في المادة ما قبل الأخيرة منه (المادة: 16) بضرورة تطبيق الإجراءات المعتمدة بفرنسا لحماية التراث المعماري والأثري على تراث مستعمرة الجزائر.

* متابعة ورقابة ورشات المسح والحفريات الأثرية عن كثب وكذا الحرص على منح رخصها لمن يستحقها من أصحاب الكفاءات العلمية المؤهلة.

* السهر على تطبيق واحترام أحكام النصوص التشريعية المعمول بها في هذا المقام (قانون 30 مارس 1887)³، المعدل بموجب أحكام قانون 31 ديسمبر 1913، وقانون 21 أبريل 1906 المتعلق بحماية المعالم والمواقع الطبيعية ذات القيمة الفنية، المعوّض بقانون 02 ماي 1930⁴.

1 يمكن الإشارة في هذا المقام إلى حالة استثنائية ثانية بالنسبة لمهندس معماري رئيس يتقلد هذا المنصب الرفيع بعد المهندس "إدموند ديتوان"، ألا وهو المهندس الرئيس "ألير بالو" (Albert. BALLU)، حيث بقي مقيما بباريس طيلة فترة تعيينه الطويلة جدًا (1889 – 1929م).

2 «La Réforme du service des monuments historiques en Algérie (1942 - 1960)», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01, Boite: 1, Dossier: 3 (Arrêté portant organisation du service des monuments historiques de l'Algérie).

3 Loi du 30 mars 1887 pour la conservation des monuments et objets d'art ayant un intérêt historique et Artistique, J.O.R.F du 31 mars 1887. pp 1521_1522.

4 POINCARE (R, « Loi sur monuments historiques », In : Bibliothèque de l'école des chartes, Tome 75, 1914, pp 54_60.

*رعاية وتطوير طراز "الفن المغربي المجدّد" في المباني العامّة، المميّز للعديد من البنايات العمومية في مختلف المستعمرات الفرنسية بمنطقة الشّمال الإفريقي (تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، وموريتانيا) في الفترة الممتدّة ما بين (1850-1950)م بمبادرة من الحاكم العام للجزائر "جونار" (JONNART)، وذلك عن طريق قسم العمارة المؤسّس من قبل هذا الحاكم في سنة 1905م.

4- إنجازات مصلحة المعالم التّاريخية بالجزائر: تمكّنت هذه المصلحة طيلة مسيرتها المهنية (1880-1962م) من تحقيق إنجازات معتبرة في مجال حفظ وحماية وتأمين التّراث الأثري والمعماري الجزائري، أبرزها:

4-1- إجراء الحفريات الأثرية بمواقع الآثار القديمة: تمّ في هذا النّسق العام، إجراء عشرات الحفريات عبر مختلف أنحاء تراب عمّلات الجزائر الثّلاث على امتداد أعوام طويلة، لعلّ من أبرزها على الإطلاق: حفرة تيمقاد الملقبة بمدينة "بومبي إفريقيا" سنة 1880 على يدي "ديتوان" في بادئ الأمر، ثمّ "بالو" في عقب انتقاله إلى تونس، كما سبق توضيحه من قبل: ثمّ لامبيز سنة 1883م (اللوحة: 2)؛ ثمّ شرشال سنة 1886م؛ ثمّ تبسة سنة 1888م؛ ثمّ تيبازة سنة 1891م؛ ثمّ خميسة سنة 1900م؛ ثمّ عنونة سنة 1903م، ثمّ مداوروش سنة 1905م، ثمّ جميلة سنة 1909، حيث أصبحت الجزائر حينها ورشة عملاقة في ميدان التّنقيب الأثري.

أسفرت هذه الحفريات على اكتشافات أثرية في غاية الأهمية، كالكشف عن المعالم التّذكارية الهامة، مثل أقواس النّصر، والسّاحات العامة والمعابد، ومرافق التّرفيه كالمسارح والمدرجات، وبقية مكوّنات النّسج الحضريّة في المدن القديمة بالجزائر من أسواق وحمامات، وسكنات، وشوارع، ومنشآت مائية، وصرف صحيّ، وما إلى ذلك¹.

4-2- ترميم المعالم التّاريخية الإسلاميّة: ثمة معالم معمارية إسلامية عديدة، تمّ ترميمها في هذا المقام، ففي مجال العمارة الدّينية مثلاً جُلّ المساجد العتيقة المعروفة اليوم بالجزائر

1- أكثر تفاصيل حول هذه الاكتشافات الأثرية المعتبرة، ينظر على سبيل المثال:

CROSLAMBERT (A, Archéologie Algérienne de 1895 à 1915, les rapports d'Albert BALLU, publiés au Journal Officiel de la république française de 1896 à 1916, Diffusion de Bocard, Paris, 1997; GSELL (S, Les monuments antiques de l'Algérie, éditions ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1901, 02 Tomes.

رُمّت من قبل هذه المصلحة بكلّ من مدينة الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة وعناية وبسكرة ومعسكر، وغيرها من الحواضر التاريخية.

إضافة إلى ترميم قصور ومساكن الفترة الحديثة (الفترة العثمانية)، وإعادة دمجها وظيفيا، شأن قصر الحاج أحمد باي في مدينة قسنطينة، وقصر مصطفى باشا، وقصر الخزناجي، ودار الصّوف في قصبه مدينة الجزائر على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص؛ ناهيك عن ترميم مرافق عامة أخرى كالحمامات، وغيرها، حيث لا يتسع المقام للوقوف عند تفاصيلها جميعا.

3-4- تكوين المجموعات المتحفية واستحداث المتاحف الأثرية المحلية: أسفرت أشغال التنقيب الأثري وأعمال الترميم وإعادة تأهيل المعالم التاريخية والمواقع الأثرية عن تكوين مجموعات أثرية هائلة، حتمت على هذه المصلحة تخصيصها بعشرات المتاحف الخاصة وإصدار دلائلها، حيث لجأت إلى تحويل بعض المعالم القديمة مثل معبد "مينيرفا الوثني بتبسة"، ومقر إقامة قائد الفرقة الثالثة الأغسطسية "البروتوريوم" في مدينة لامبيز، ومسجد سيدي القلعي في تلمسان كمقرات لمتاحف أثرية، ما تزال في حالة نشاط حتى اليوم بالصّورة التي أنشئت عليها¹.

4-4- أعمال التوثيق والنشر العلمي: زيادة على نشر التقارير الدورية بشكل منتظم حول مختلف الأنشطة، المحققة من طرف هذه المصلحة، آلت على نفسها نشر الكثير من الأبحاث العلمية الرائدة بالنسبة إليها، ولاسيما على وجه الخصوص تلك المؤلفات التي تمحورت حول نتائج حفريات هذه المصلحة عبر عمّالات الجزائر.

4-5- تهيئة المواقع الأثرية وإعادة دمج المعالم التاريخية في الصناعة السياحية: استطاعت هذه المصلحة من إرساء دعائم صناعة حقيقية للسياحة الثقافية المبنية على زيارة المتاحف الأثرية والمعالم التاريخية، والمواقع، مكنها من استقطاب جمهور غفير من أوروبا والمعمرين المستقرين في الجزائر، كما تؤكده قوائم الإحصاء في مجموعات أرشيف هذه المصلحة، ولعلّ أبلغ دليل على ذلك الاكتفاء بالإشارة إلى عدد زوّار موقع تيمقاد

1- Musées et Collections Archéologiques de l'Algérie, sous la direction de M. R. de La Blanchère, Description de l'Afrique du Nord entreprise par ordre de M. le Ministre de l'instruction publique et des Beaux-Arts

بمفرده، حيث تجاوز عتبة العشرة (10) آلاف سائح سنويا في عقد أربعينيات القرن الماضي¹، يوم كان الاقتصاد الأوروبي منهارا في عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتراجع مدخول الفرد فيه وغياب وسائل التواصل، والإشهار والتحفيز.

5- أثر نشاطات مصلحة المعالم التاريخية على مصير التراث الجزائري: ثمة آثار إيجابية كثيرة تحققت في مجال ترميم التراث الجزائري آنذاك بصرف النظر عن الخلفيات الكامنة وراء هذا الاهتمام الانتقائي بخصوص مقومات التراث الأثري والمعماري والمتحفي الجزائري من طرف تلك المصلحة، المنشأة عن طواعية من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي كأداة من الأدوات المسخرة لتنفيذ مشروع "الظل الأبدي"، ومحاولة تكريس فكرة حاجة الإنسان المحلي للآخر في سبيل تسيير أموره، لعل من أبرزها ما يلي: القضاء على التنقيب الأثري الفوضوي، وإخضاعه لتنظيم إداري، ورقابة علمية وقضائية صارمة؛ إنشاء المتاحف الأثرية على الصعيد المحلي وتحويلها إلى مراكز لحفظ الأرشيف المادي، الموجه في المقام الأول للباحث الأجنبي، والسائح الغربي، دون الأهالي؛ تصنيف المعالم التاريخية والمواقع الأثرية في قوائم خاصة، قابلة للتحيين دوريا، أقدمها بالنسبة لهذه المصلحة قائمة 1887م، وآخرها القائمة الملحقة بالأمر 281-67 الصادر في نهاية 1967م؛ إنقاذ عدد هائل من المعالم التاريخية والمواقع الأثرية من أخطار التلف والتشويه بفعل تدخلاتها الموفقة في مجال الصيانة والترميم، وإعادة الدمج الوظيفي لبعضها؛ إسهام نتائج تنقيباتها الأثرية الكبير في إثراء الأطلس الأثري الجزائري المنشور في جزأين ضخمين بإشراف زعيم المدرسة "الكلونيالية" في التاريخ القديم بالجزائر ستيفان غزال سنتي 1909-1911م²، حيث يعتبر بمثابة الوثيقة المرجعية الأولى لمن يروم البحث في الآثار الجزائرية إلى غاية وقتنا الحالي.

خاتمة: وصفوة القول، فبقدر ما نجحت هذه المصلحة التقنية في إداء المهام المنوطة بها، دون أن تثنيها العقبات العويصة المعترضة لها بين الفينة والفينة الأخرى، كقلة الاعتمادات المالية المقطوعة لها من الميزانية العامة، والاصطدام الحاد بينها وبين غريمتها "مصلحة الآثار

1- Ballu (A, Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidations effectués en 1925 par le service des monuments historiques de l'Algérie, Ancienne Maison Bastide- Jourdan, Alger, 1926, p. 39.

2 Gsell (S, Atlas archéologique de l'Algérie, Alger, Tome: 1 Texte (1909, Tome: 2 Cartes (1911; Cagnat (R, «M. Gsell.

Atlas archéologique de l'Algérie», In: Journal des savants, Année 2012, pp 41 – 42.

القديمة" منذ سنة 1923م، تاريخ ظهور هذه المصلحة المنافسة لها، المستحدثة من طرف الأثريين المتكويّنين في جامعة الجزائر، وكذا قلّة عدد طاقمها البشري المؤهل مقارنة بشساعة مساحة القطر الجزائري، وكثرة وتنوّع تراثه المعماري والأثري؛ إلّا أنّها لم توفّق في التّحليّ بالحياد والموضوعية في تدخلاتها الميدانية، حيث كانت انتقائية جدا، ومنحازة دوماً إلى محوّ معالم الشّخصية الثقافيّة والحضارية للأهالي، ومحاولة تقييد ذاكرتهم العامّة عن طريق الاحتفاظ، وتمجيد آثار ومعالم الآخر (الأجنبي المحتلّ) وفي مقدمتها آثار الاحتلال الرّوماني الذي اتخذت منه فرنسا أنموذجا تاريخيا ناجحا، جدير الاقتداء به في حركتها الاستعمارية للجزائر.

ملحق:.



الصّورة (01): آخر مقرّ لأوّل متحف في الجزائر، حيث كان يتضمّن مكتبة ومتحفا، وهو الآن مقرّ المتحف الوطني للمنمنمات والخط والزخرفة.



اللوحة (02): رفوع معمارية لبعض معالم مدينة "لامبيز" الأثرية، من إنجاز "ديتوان" (1881)م.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1871-1816)، تقديم روبرت مونتران، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

المراجع الأجنبية:

الأرشيف:

- «L'Algérie, Transmission du service, 1901», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F80/1/119, «Application à L'Algérie de la loi du 31 Décembre 1913, (1901 à 1938), Transmission du service des monuments historiques au gouvernement général», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01.

- «Arrêté du 12 Avril 1907 portant sur l'organisation du service des monuments historiques de l'Algérie», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01, Dossier: 2, (L'Algérie généralité (1912 – 1952), Département d'Alger).

- «La Réforme du service des monuments historiques en Algérie (1942 - 1960)», In: Archives de la Médiathèque d'architecture et du patrimoine, Charenton le pont, Paris, Carton F81/99/01, Boite:1, Dossier: 3 (Arrêté portant organisation du service des monuments historiques de l'Algérie).

الكتب والمقالات:

- ALMI Said, Urbanisme et colonialisation, présence française en Algérie, Mardaga, Belgique, 2002.

- Ballu (A), Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidations effectuées en 1925 par le service des monuments historiques de l'Algérie, Ancienne Maison Bastide- Jourdan, Alger, 1926.

- BERBRUGGER Aderienne, «Un monument historique», In: Revue Africaine, N° 06, 1862.
- BERBRUGGER Aderienne, Bibliothèque- Musée d'Alger; Livret explicatif, Imprimerie Bastide, Alger, 1861.
- BURTH – LEVETTO Stéphanie, «Le service des bâtiments civils en Algérie (1843 – 1872) entre discours et réalité», In: Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N° 73 – 74, 1994.
- CAGNAT René, «M. Gsell. Atlas archéologique de l'Algérie», In: Journal des savants, Année 2012.
- CROSLAMBERT Agnès, Archéologie Algérienne de 1895 à 1915, les rapports d'Albert BALLU, publiés au Journal Officiel de la république française de 1896 à 1916, Diffusion de Bocard, Paris, 1997.
- DIAZ-ANDREU Margarita, A world history of Nineteen-Century archaeology, Oxford university press, 2007.
- DONDIN-PAYRE Monique, «Napoléon III et l'archéologie algérienne», In: Bulletin de la société historique de Compiègne, tome 37, 2001.
- DUTHOIT Edmond, «Rapport sur une mission scientifique en Algérie», In: Archives des missions scientifiques et littéraires, 3^{ème} série, tome 01, 1873.
- DE MONTGRAVIER Azima, «Excursion archéologique d'Oran à Tlemcen», In: Mémoires de la société archéologique du Midi de la France, tome 05, (1841 – 1847).
- FRANQUE Alfred, Lois de l'Algérie année 1844, Editeurs DUBOS frères et MAREST, Paris / Alger.
- GSELL Stéphane, Les monuments antiques de l'Algérie, éditions ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1901.
- GSELL Stéphane, Atlas archéologique de l'Algérie, Alger, Tome: 1 Texte (1909), Tome: 2 Cartes (1911);
- KOUMAS Ahmed & NAFA Chehrazed, L'Algérie et son patrimoine; dessins français du 19^{ème} siècle, éditions du patrimoine, Paris, 2003.
- Loi du 30 mars 1887 pour la conservation des monuments et objets d'art ayant un intérêt historique et Artistique, J.O.R.F du 31 mars 1887.
- Ministère d'Etat, Note, Circulaires et rapports sur le service de la conservation des monuments historiques, Imprimerie impériale, Paris, 1962.
- Musées et Collections Archéologiques de l'Algérie, sous la direction de M. R. de La Blanchère, Description de l'Afrique du Nord entreprise par ordre de M. le Ministre de l'instruction publique et des Beaux-Arts.
- OULEBSIR Nabila, « La découverte des monuments de l'Algérie; les missions d'Amble Ravoisié et Edmond Duthoit (1840 – 1880)», In: Revue du monde musulman et de la Méditerranée, N° 73 – 74, 1994.
- OULEBSIR Nabila, Les usages du patrimoine, monuments, musées et politique coloniale en Algérie (1830-1930), Editions de la maison des sciences de l'homme, Paris, 2004.
- POINCARE (R), « Loi sur monuments historiques », In : Bibliothèque de l'école des chartes, Tome 75, 1914.
- RAVOISIE Amable, Architecture, sculpture, inscriptions et vues, Série beaux-arts, Exploration scientifique de l'Algérie; pendant les années 1840, 1841, 1842, Librairies de Firmin DIDOT frères, Paris, 03 tomes, 1846.
- ROBERT Charles, «L'état fâcheux de divers monuments antiques de l'Algérie», In: Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, Année 29, N° 01, 1885.